سعدي الشيرازي
مهندس أرواح وبانيها

الأستاذة سكينة قدور

جامعة الأمير عبد القادر

إن المتأمل لأدب سعدي الشيرازي ليقف منبهرا محتارا أي الرياض يختار، وأي الورود يقطف وهو الذي اهتدى إلى تسمية أشهر أعماله بمسميات هي أقرب إلى الرياض وما فيها من أزاهير وعطور "البوستان" و"الكلستان" اللذان ما ذكر إلاّ ولهجت الأنفس بذلك الاسم المتوغّل في الأغوار "سعدي الشيرازي"، ذلك الأديب والشاعر الإنساني العالمي الذي أحس بأحاسيس الناس جميعا وترجم عما اختلج مشاعر الجميع في قوالب شعرية ونثرية رائعة، إنّه اللسان الذي عبّر عن ألسن والفكر الذي أبان عن عقول ونفوس، إنّه المرآة التي عكست على صفحاتها المشرقة المضيئة كل ما شاهدته في عصرها ووعته من سالف الدهور، ولكنّه أضاف إلى تلك الصور الواقعية الكثيرة من شفافية روحه وصفاء فكره وطهر أعماقه، وهذّب تلك المشاهد التي كانت تصادفه في حياته الطويلة بين الحلّ والترحال، فجاءت صورا مربية هادفة صانعة بانية.

وحريّ بنا اليوم أن نعود إلى التتلمذ على تلك الإشارات السنية والنفحات الزكية التي ترقد بين طيات حكاياته وأشعاره، والتي جمع فيها بين التصوف والأخلاق والأدب والشعر والسياسة والتاريخ والظرف والفكاهة، جاعلا لكل مقام مقالا يناسبه، فهو لم يجنح «نحو التصوّف الكامل والعزلة التامة مثل العطار والرومي»(1)، اللذين لا نكاد نجد في أدبهما إلاّ ذلك الجانب الصوفي المثالي باشراقاته وشموسه وفيوضاته، وإن عدّه الشاعر الصوفي الكبير "عبد الرحمن الجامي" من كبار المتصوفة وأولاه منزلة كبيرة، فإنه يعد عند

(1)- مجلة الآداب الأجنبية، ع77-78 (1994)، عدد خاص بالأدب الفارسي -سعدى الشيرازي-، إلياس سعد غالي، ص205.

جلّ الدارسين في سجلّ أولئك الأدباء الإنسانيين العالميين الذي أخذوا من كــل شــيء بطرف، وقدموا للإنسانية جمعاء رحيق تجاربهم وخلاصة فكرهم وخلّدوا ذكرهم.

كان جلّ هم "سعدي" وشغله الشاغل في كل أعماله الأدبية بناء النفوس وإصلاحها، إذ لم يكن ليفكر في خلاص نفسه وسعادتها بعيدا عن الآخرين.

أتاحت له الظروف أن ينال من أطايب الحياة ولذاتها وأن يعبّ من الدنيا عبّا؛ حيــث تربّى وعاش في قصر الأتابك "أبي بكر بن سعد"، ولكنه كان دائما مشغول الفكر بإنقاذ أرواح الآخرين واعتلاء سنام السعادة بإسعاد الآخرين، وتلك أعلى مراتــب الإنســانية وأسمى درجات الأديب المثالي.

ويكفي دليلا على سعة رقعة اهتمام "سعدي" بصلاح الآخرين ونجاحه أن نلقي نظرة سريعة على أبواب كتابيه الشهيرين المشار إليهما سابقا (الكلستان والبوستان)، لنجــد (العدل- الإحسان- العشق- التواضع- الرضا- القناعة- التربية- الشــكر- التوبــة- المناجاة(1)- سيرة الملوك- أخلاق الفقراء- فضل القناعة- فوائــد الســكوت- العشــق والشباب- الضعف والشيخوخة- تأثير التربية- آداب الصحبة) (2).

إن المتأمل لهذه العناوين والأبواب ليجد بينها تقاطعات شتى ونقاط التقاء بينها جميعــا إذ كلها يحمل في ثناياه ما يوحي برغبة "سعدي" في إصلاح الآخر وهدايته وسداده، بــل إن منها ما تكرر حضوره بين الكتابين نحو باب "العدل" الذي يقابله في الكلستان "سيرة الملوك" وباب العشق وباب القناعة وباب التربية... وإنّه ليدرك مدى حرص "ســعدي الشيرازي" على تواجدها بينهما، بل وفي سائر أعماله الأخرى. ومن ذلــك الحــرص الحاضر بين السطور انبثق حرصي على إبراز أحد هذه الوجوه التي أراد منا "سـعدي" أن نقف عندها ونتعلّم من هديها ما من شأنه أن يفتح من حوالينا المغاليق. وإن كانت كلّها

(1)- هذه أبواب البستان وهي عشرة.
(2)- أبواب الكلستان وهي ثمانية.

جديرة بأن تكشف دررها وكنوزها الخفية، فإنني سأقف عند الباب الأول من الكتابين "باب العدل" وباب "سيرة الملولك"، استجابة لنداء "سعدي الخفي وحكمته الكامنة في استهلال الكتابين بهما، وكأنه يرى أنه ببناء هذا الجزء تبنى سائر الأجزاء وبصلاح هذا المجال تصلح باقي الميادين، وهل تبنى الأمم إلاّ بصلاح رعاتها، وهل النّاس إلاّ على دين ملوكهم؟

فالبابان كلاهما نصائح وتوجيهات في صلاح الراعي والرعية أو الحاكم والمحكوم. ولعلّ أجمل ما في تلك النصائح والحكايات والقصص والتوجيهات السياسية التي أهداها "سعدي" إلى حاكم عصره وتلك المعلومات الشاملة لأمور الدنيا وتدبير شؤون الملك وسياسة الرعية ورسوم الحكم العادل أنها جاءت في أسلوب غير مباشر يلج إلى القلوب ويقنع العقول ويتسامى بالأرواح دون استئذان.

فهو يزجى برؤاه ومواقفه في قوالب قصصية غير مباشرة عن ملوك آخرين في مواقف شتى من مواقف الحياة (مع أبنائهم- عمالهم- رعيتهم- الممالك المجاورة لهم- أعدائهم...) أمثال جمشيد ودارا وملوك الأكاسرة والخلفاء العرب "كعمر بن عبد العزيز" و"المأمون"... فيختار لكل واحد منهم قصة تتناسب وما عرف من سيرته في رعيته، يستقيها أحيانا من سيرهم ويخترعها أحيانا أخرى، فتأتي مناسبة لما عرف من سيرة كل واحد منهم في صلاتهم بكل من يحيط بهم.

ولمزيد من التلطف مع أمير العصر وبيان قدر مكانة حاكم العصر وصديق "سعدى" في آن "الأتابك أبو بكر بن سعد" وجدناه يفتتح أغلب قصصه بكلمة "سمعت" فينقل إليه الأمر سماعا، ليترك له حرية الاختيار والقرار.

وهذه وقفة سريعة متواضعة عند محور بارز من بابي "العدل وسيرة الملوك" يمكن تسميتها بالسياسة الداخلية أو الاصطلاح عليها بما يعرف حديثا بـ "السياسة المدنية"، ذلك أن شؤون الرعية وسياستها استنفذت كثيرا من فكر "سعدي" واهتمامه، حتى

لكأننا -ونحن نقرأها- بسعدي باني النفوس ومصلحها ومشيّد صروح الكلمة الطيبة يمدّ جسرا متينا من التعاون والود والحبّ وحسن المعاملة بين الراعي والرعية، يخفض كل منهما للآخر جناح الرحمة والحلم والأناة في سبيل إصلاح الأمم وإعمارها، وقديما قال الشاعر العربي:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم(1)

لهذه العلاقة الأزلية الحتمية القائمة بين الراعي والرعية شيّد فكر "سعدي" صورا شتى، وصنع لها خياله نماذج لا تنسى.

فهو مرّة يرى الحاكم العادل في رعيته بمترلة الأب الذي قد يبدي غضبه من أحد أبنائه وقد يضربه حينا ويؤلمه، ولكنه ينحني عليه في حنان متدفق فياض ليمسح دموعه:

إن المليك العادل في رعيته يغضب عليهم غضب الأب مع ابنه

يضربه حينا حتى يؤلمه وحينا يمسح دموعه من عيونه البريئة(2)

ولنا أن نتخيل الجزء الآخر المختفي وراء السطور من هذه العلاقة المثالية السامية التي رسمها "سعدي" وأرادها أن تكون بين الحاكم وشعبه، فإذا كانت علاقة الأبوة تقتضي من الأب التربية والتوجيه والحرص على مصلحة الابن وإن تطلب ذلك القسوة في بعض الأحيان، فإن علاقة البنوّة تقتضي بدورها الطاعة والمحبّة والوفاء.

ومرّة أخرى يرى "سعدي" الرعية شجرة إن تعهّدها الحاكم بالعناية والرعاية جنى ما شاء منها من الثمار الطيبة الزكية، ثم يراها (الرعية) بمثابة الجذور الممتدة في أعماق الأرض وما السلطنة إلاّ الشجرة التي تبزغ فوق سطح الأرض ولن يكون لها من القوة والثبات إلاّ بمقدار قوة وامتداد ورسوخ جذورها، وما على الحاكم الذي ينشد لسلطانه الاستمرار ولوطنه الرخاء والاستقرار، إلاّ الالتفات إلى تلك الشجرة بالرعاية والحماية

(1)- محمد موسى هنداوي، سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية عصره، حياته، ديوانه البستان، مطبعة مصر، 1951، ص369.
(2)- أبو العلاء المعري.

وإلى تلك الجذور بالتعهد والعناية، لأنّ أي تقصير في ذلك يكون إيذانا باقتلاع الجـذور. يقول على لسان "كسرى"* موصيا "هرمز"* ساعة الاحتضار:

الرعية كالشجرة إذا نالت رعايتك جنيت ثمارها بقدر رغبتـــك[1]
إن الرعية كالجذور والسلطنة كالشجرة والشجرة يا بنيّ! قوية بقوة الجذر
لا تجرح ما استطعت قلوب شعبك فإنك إن جرحتها اقتلعت جـــذرك[2]

ومرة ثالثة يرى الرعية بمثابة القطيع والحاكم راعيه والمشرف عليه يتخـيّر لـه مـن المطاعم أطيبها ومن المشارب أعذبها ومن المواطن ألطفـها. بـل إن قـانون "سـعدي الشيرازي" يحرم على الحاكم النوم الهنيء ما لم يوفر لرعيته الأمان ويتيح لها سبل النـوم الهنيء القرير، فمن غير اللائق في قاموسه أن يطلب الراعي الراحة لنفسه وينشـد لهـا السعادة قبل أن تنعم بذلك الرعية، يقول:

إنّه لا يستريح أحد في ديـارك ما دمت تطلب راحـة نفسـك
وليس كريما في نظر الحكيـم أن ينام الراعي والذئب في الغنم[3]
حرام على المليك أن ينام سعيـدا إذا ترك القوي على الضعيـف
فلا تؤذ الرعية مقدار "حبة خردل" فإن السلطان راع والرعية قطيعه[4]

فوحده الملك العادل الجدير بتنسم عبق السعادة والعيش منعّما في الآفاق لأنه جعـل العدل سبيله وصلاح الرعية غايته الكبرى، يقول على لسـان "خسـرو" في نصيحتـه "لشرويه" وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

أفعل دائـما كـل مـا تريـد ولكن انظر في صلاح أمور الرعيـة
ولا تلو رأسك عن العدل والرأي حتى لا يعـصي النـاس أمـرك

- من ملوك الأسرة الكسروية.
(1)- محمد موسى هنداوي، سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية، ص349.
(2)- المرجع نفسه، ص363.
(3)- المرجع نفسه، ص348.
(4)- المرجع نفسه، ص364 (في الكتاب مقدار خردلة، ولكنني فضلت الاستعمال القرآني اللفظة)

من ذا الذي عاش منعّما في الآفاق أكثر ممن عاش منصفا في ملكه للخلق(1)

ولا يسعنا أمام هذا الحاكم الذي رسمه خيال سعدي وتمنّاه عقله والجدير وحده براحة البال والنوم الهنيء إلاّ أنّ نردّد مع الشاعر العربي القديم «عدلت، فأمنت فتمت، فنم قرير العين هانيها».

ويرتفع بنا سعدي في سلّم العدل إلى مرتبة الإحسان إلى الرعية متخيرا من الشخصيات التاريخية ما يصلح لهذه الرسالة الإنسانية الجليلة النبيلة حيث يؤثر الحاكم راحة الناس على راحته وسعادتهم على سعادته، إنها شخصية الخليفة العادل "عمر بن عبد العزيز" الذي تخير له "سعدي" قصة قريبة من سيرته، فعندما نزلت بالقوم سنة باع الخليفة "فص خاتمه" الذي عجز الجوهري عن تقدي ثمنه، وأنفقه خال أسبوع واحد بين الفقراء والمساكين والمحتاجين، مما حدا بالمحيطين به أن يشبعوه لوما وتقريعا على ذلك الكتر الثمين الذي أضاعه هباء، وما كان منه إلاّ أن أفحمهم بذلك الجواب الشافي، إذ كيف يطلب الملك زينة الحياة وزخرفها والرعية تدمي قلوبها الحاجة إلى لقمة العيش، لا بأس أن يفقد خاتم الخليفة فصة المتفرد في البهاء والنفاسة، طالما قد أزاح به همّا عن كواهل شعبه، وأي نوم هانئ مستريح ينعم به الملك إذا باتت الرعية تتقلب فوق فراش الفاقة والألم، يقول على لسان عمر بن عبد العزيز:

قبيح للملك أن يطلب الزينة وقلوب الرعية جرحى بماهم فيه من الحاجة

لا ضير أن يكون خاتمي بلا فصّ ولكن لا يليق أن تكون قلوب الخلق في غمّ

إذا نام المليك منعّما على فراشه مستريحا فلست أظنّ نوما هادئا للفقير

طوبى لمن يؤثر راحة الناس على راحة نفسه وشهواتها(2)

(1)- محمد موسى هنداوي، سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية، 349-350

(2)- المرجع نفسه، ص354-355.

ولا نجد أنفسنا أمام إنسانية "سعدي" الذي يسلبنا الآدمية إن لم نتألم لمحن الآخرين وآلامهم(1)، إلاّ مرتقين في مدارجه العلية لنصعد درجة أخرى من درجات التواصل بين الراعي والرعية وإلى خيط آخر متين مدّه "سعدي" بين الطرفين المحكوم عليهما بالتعاون في سبيل المصلحة العليّا للأوطان، ولا أحد منهما يستطيع الاستغناء عن الآخر وإن طلب ذلك وأراده.

إنها الحكاية الأولى التي تتصدّر الباب الأول من كتابه "الكلستان"(2) (باب سيرة الملوك) يروي فيها أن ملكا أمر بقتل أسير، ولما علم أنه هالك لا محالة أخذ في حالة من اليأس يشتم الملك بلغة غريبة لا يفهمها الملك، ذلك أن المرء إذا يئس طال لسانه كسنّور مغلوب يصول على الكلب. ولما سأل الملك عن معنى ما يقول الأسير أجابه أحد الوزراء وكان محبا للخير: «أيها الملك إنه يقول: "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس"»، فتملكت الرحمة الملك وأشفق على ذلك المسكين وعفا عنه. فقام من المجلس وزير مناوئ للآخر وقال: «لا يليق بأمثالنا معشر الوزراء أن نتكلم بحضرة الملوك إلاّ بالقول المستقيم (الصدق)، وإن هذا الأسير شتم الملك بما لا يليق (بحضرته).

فاكفهرّ وجه الملك من كلامه وقال: «إن ما ترجمه لي خصمك وإن كان كذبا لقي عندي قبولا أكثر من صدقك، لأن ذلك الكذب منه كان لغرض نبيل وهذا الصدق منك جاء منطويا على اللؤم* وقديما قالت الحكماء: «الكذب الذي يجرّ من ورائه نفعا خير من الصدق الذي يثير فتنة».

إن المتأمل لهذه الحكاية يجد الشيخ المصلح "سعدي الشيرازي" يضيف عنصرا مهما من عناصر السياسة المدنية وهو الوسيط بين هاتين المعادلتين (الحاكم والشعب)، إنه دور

---

(1)- يقول: أنت يا من لا تتألم لمحن الآخرين   لا تستحق أن توصف بالآدمية

توكز محنت ديكران بي غمى   نشايد كه نامت نهند آدمي

(2)- سعدي السيرازي - الكلستان، ترجمة: محمد الفرائي، ص26-27.

* -لأنه كان يرمى إلى الإطاحة بخصمه أو عزله...

الوزير أو أي وسيط آخر وجامع بين الطرفين. فقد تعمّ عدالة السلطان الرعية على أيدي وزرائه، وكذلك ظلمه أو جوره، وما سمي الوزير وزيرا إلاّ لأنه «يزر عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير المملكة»(1).

وفي هذه الحكاية الطريفة تعلق مصير الأسير بموقف الوزيرين وإن كان للملك دور التوجيه واختيار أحد الموقفين، وكان أن اختار موقف الوزير الصالح الذي ساهم وجوده في توطيد العلاقة بين الراعي والرعية ومد جسورها وتوثيق عراها، وهكذا تغلبت الحكمة والخير ومصالح الرعية على الانتصار للذات الفردية الحاكمة، لأن صلاح الخلق -في نظر سعدي- هو الغاية والهدف من وجود الحاكم، وكل ما يؤدي إلى هذه النتيجة يجب أن تقبله حكمة الحاكم، وهو الأمر الذي أشار إليه في حكاية أخرى من الباب نفسه على لسان أحد الدراويش: «أعلم أن الملوك وجدت لأجل حفظ الرعية وما وجدت الرعية لأجل طاعة الملوك»(2).

ومما يجب الإشارة إليه في قصة الأسير قضية "العفو عند المقدرة" التي إن دلت على شيء فإنما تدلّ على نبل الملك وسموّ أخلاقه وسداد رأيه، مما يوحي أن أمره بقتل الأسير لا يمكن أن يكون بغير حق، وقد تلقى فوق ذلك شتيمة على مشهد من وزرائه وأعيانه، وهو عمل يستحق بدوره العقاب، ولكنّ برّه ولطفه جعلاه يظهر أكثر من العدل.

إنها درجة أخرى من الدرجات التي أراد بنا الشيخ المصلح ارتقاءها وهي رتبة العفو عند المقدرة وكأننا به يقول «إن الحاكم المثالي إنما هو المستبد الرؤوف الذي يعطي الأولوية لصلاح الخلق حتى ولو كان ثمن ذلك التنازل عن حقه الشخصي»(3).

(1)- انظر: لسان العرب، مادة وزر.
(2)- سعدي الشيرازي، الكلستان، ص72.
(3)- مجلة الدراسات الأدبية، ع1-2 (2000)، السنة الأولى، عدد خاص سعدي، وحيد بهمردي، السياسة المدنية عند سعدي الشيرازي، ص163.

ليبلغ بنا في سياسته المدنية إلى مرتبة أسمى من "العدل" يمكن تسميتها بدرجة "الفضل"، ذلك أن العدل كان يقتضي معاملة الأسير بما يليق وفعله، بينما أفاض عليه الملك وتفضّل بالخير فعفا. ومنه نستطيع القول أن السياسة المدنية عند "سعدي" لا تقف عند حدّ العدل، وإنّما تتعداه إلى الفضل في أسمى معانيه وأسناها وهو استصلاح الخلق[1]

وإذا حاول "سعدي الشيرازي" أن يرتقي بالحاكم في مدارج الإنسانية بدء بمرتبة العدل التي هي أدنى شروط الإمارة على الناس، إلى درجة العفو عند المقدرة وهي المكافأة بأفضل من جنس العمل، إلى الإحسان إلى الرعية والتفضل عليها بكل ما من شأنه إصلاح حالها، فإنه لم يهمل الطرف الآخر المهم في معادلة السياسة المدنية، ألا وهو الرعية وبالتحديد واجب الرعية نحو راعيها وأوطانها.

وهو واجب يصب دائما في الإطار العام الذي رسمه سعدي في فلسفة السياسة المدنية عنده، المتمثل في المصلحة العليّا للأمم وصلاحها ونمائها وقوتها وازدهارها. ولعلّ أخطر تلك الواجبات على الرعية "الوفاء للأوطان" في جميع الأحوال (بعدل الحكام أو جورهم، برخاء الأوطان أو قحطها...) ونستحضر في هذه اللحظات قول الشاعر العربي:

بلادي وإن جارت على عزيزة وقومي وإن ظنّوا عليّ كرام.

يروي "سعدي" في إحدى حكايات الكلستان* أن محاسبا كريم النفس محسنا بدرت منه بادرة لم تكن مقبولة في عين الملك، فأمر بمصادرة أمواله ومعاقبته، وكانت له أيادي على عمال السجن فتلطفوا في معاملته، ولبث في السجن حينا من الدهر إلى أن ورد عليه كتاب من ملك البلاد المجاورة يدعوه فيه إلى السفر إلى مملكته ويمنّيه بالجاه والعزّ والمكانة العلية، لما بلغهم من ثاقب نظره وتفوقه في ميدانه. فكتب جوابا مختصرا على ظهر الرسالة، وقد أطلع أحد المقربين من السلطان على الأمر وأخبره، فغضب الملك وأرسل

(1)- المرجع نفسه، ص163.
* الحكاية الرابعة والعشرون.

في طلب الرسول فقبضوا عليه ووجدوا في ظهر الرسالة جواب السجين الحكيم «إن حسن ظن الأعيان بهذا العبد يزيد عن الحدّ، وما أمروا به مشرّف لي ولكنّ قبوله ليس بإمكاني لأنني لا يمكن أن أكون عديم الوفاء لولي نعمتي لأتفه سبب تكدّر فيه خاطري، حيث قالوا:

من تجن إنعامه في كل آوانة   فاعذره إن مرّة في عمره ظلمك

فأعجب الملك بصنيع هذا المواطن الوفي -رغم الأسر- فخلع عليه من فضله واعتذر إليه قائلا: لقد أخطأت بحقك حيث آذيتك بلا ذنب جنيته» فأجاب «أيها الملك إن عبدك لا يرى هذه الحالة خطيئة منك، فربما كان تقدير الله هكذا بالذي وصل إليه العبد من مكروه، فحصوله على يدك أولى لما لك على هذا العبد من الأيادي المثلى، وقديما قالت الحكماء:

لا تأس إن نالك من خلق ضرر   ما النفع والضر بمقدور البشر
وإن ترالسّهم عن القوس صدر   فبارئ الكون رماه لا الوتر(1)

ولعلّ آخر ملاحظة يمكن تسجيلها في هذه الرحلة السريعة إلى عوالم "سعدي الشيرازي"، أن السياسة المدنية التي أهدى بعض نواميسها إلى الإنسانية جمعاء لم تكن تقف عند حدود الصلاح المادي الدنيوي الملموس، بل تجاوزته إلى الصلاح الأخروي، فقد كان للعاقبة والآخرة دور بارز في تحديد سلوك البشرية كلّها وكأننا به يهمس في آذاننا جميعا بأن نفتح عينا على الدنيا وأخرى على الآخرة، وهو التوجه الكفيل بأن يهب للفكر السياسي بعده الديني الذي لم يعدم مكانه في كل أعمال "سعدي"، حيث يرتبط التذكير بالله دائما مع التذكير بالخلق السياسي الفاضل، حتى ليحس القارئ وهو يسبح

(1)- سعدي الشيرازي، روضة الورد، ص65-67.

في فضاءات "سعدي" وكتاباته السياسية بروح صوفية شفافة تهب السياسة العالمية الدنيوية بعدا روحيا إلى جانب أبعادها الأخلاقية[1].

فذلك الحاكم العادل الذي يعمّ الخير أرجاء مملكته بعدله وحسن تدبيره والذي تنحني له الرؤوس إجلالا وتقديرا، يجب أن يحني الرأس ساعة بين يدي الله تضرعا وتذللا وشكرا على النعم الجليلة، يقول:

إذا كان العظماء مهيئين على بابك للخدمة   فلتحن أنت رأسك على أعتاب الله طاعة له[2].

وتتجسد هذه الفكرة بوضوح في كتابه نصيحة الملوك عندما يقول: «من جملة سير الملوك أن يتكدّوا ليلا على باب الله تعالى، ويمسكوا بزمام الملك في النهار».

ويضرب مثالا لذلك الحاكم الراعي لشؤون رعيته نهارا، القائم المتعبد ليلا بالسلطان "محمود الغزنوي" الذي كان إذا جنّ الليل خلع عنه ثياب الملك ورموزه وارتدى خرقة الزّهاد وسجد لله تعالى في مناجاة وتضرع وخشوع، ويروى له هذه المناجاة «يا رب العزة الملك ملكك، والعبد عبدك. فلم يتوفر لي هذا الملك بقوة ساعدي وطعن سيفي، بل أنت الذي وهبته، فهب القوة والنصر إذا أنك أنت الوهاب»[3].

أما الرعية فإن جلّ ماعدا حديثه عن السياسة المدنية موجّه إلى إصلاحها وتهذيبها وتقريبها من المولى عز وجل أميالا، وجلّه موجّه إلى مدّ الجسور بينها وبين الهدف الأوّل الذي أوجدت من أجله ألا وهو خلافة الله في الأرض بأتم معانيها.

ويكفي أن نعيد مرة أخرى قراءة أبواب الكتابين (مصدر هذه الدراسة)*:

(1)- مجلة الدراسات الأدبية، عدد خاص سعدي، المرجع السابق، ص166-167.
(2)- محمد موسى هنداوي، سعدي الشيرازي، ص360.
(3)- مجلة الدراسات الأدبية، عدد سابق، ص167.
* البوستان والكلستان.

الإحسان- التواضع- الرضا- القناعة- التربية- الشكر- التوبة- المناجاة- أخلاق الفقراء- فوائد السكوت- آداب الصحبة...

لندرك مدى حرص "سعدي" المصلح والمرّبي على بناء الإنسان من الداخل وإصلاح النفوس والعروج بها نحو مدارج الكمال البشري، وهي محاور جديرة بوقفات أخرى تأملية -أسأل الله أن يتيحها مستقبلا- لعلنا نستطيع وضع حجر في أساس المدينة الفاضلة التي ينشدها "سعدي" و"الفارابي" وكل النفوس الخيرة.